كتاب الأغانى

لأبى الفرج الأسكندرانى

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

ولست بهيفوف يرى رأى عرسه ... إذا أركبته مركباً فهو راكبه
يظل إذا ما نابه الأمر حائراً ... يخاطبها فى شأنه وتخاطبه

الشعر للأمير على بن المقرب من شعراء النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ببلاد الأحساء فى شبه جزيرة العرب. وفى هذا الشعر لحن من صنعة قاسم بك أمين على نغمة « فقئت عيناه فأبصر »

حدثنا الأستاذ عزيز أحمد فهمى قال : ولولا دفع الله الفنون بعضها ببعض لفسد الحسن. فاللحن الموسيقى والشعر يزدوجان ليكمل أحدهما نقص الآخر. ولقد كنت أقول مرة: إن كل فن يجب أن يترجم إلى فن آخر ، وهذا كلام حسن ؛ ولكنى زدته حسناً لما فهمت أن التزاوج بين فنين يستدعى تشابهاً بينهما ولكنه كذلك يستدعى أن يكون أحدهما سالباً والآخر موجباً. فهذا شعر رامى تنشده أم كلثوم ليس لأن فيها كفنه ولكن لأن فنها يسد النقص فى فنه. وهذا المخرج لرواية تمثيلية يتمم نقصها ويسد ثغراتها ، وبين الفنين تشابه ولكن أحدهما لا يترجم الآخر بل يشرح الآخر على طريقته هو التى قد لا يدركها هذا الآخر

قال : وهذا الشعر لعلى بن المقرب قد لحنه قاسم أمين فخلق منه ما خلقت أم كلثوم من شعر رامى

قال أبو الفرج : وقد سألت الأستاذ عزيز ما الذى يعنيه بهذا الفقه الفنى فلم يزد على أن قال : لقد فقئت عيناه فأبصر

حدثنا الأستاذ خيرى سعيد قال : حدثنا الملامتان هيجل وشليجل قراءة عليهما. وحدثنا الناقدان هردر وفيخت، ولم يقل بماذا حدثوه، وأغلب الظن أنهم لم يحدثوه بشىء ، أو لعله آثر ألا يروى عن هؤلاء العلماء الألمان حتى يرى العالم ماذا ستصنعه ألمانيا فى مشكلة دانزج

وحدثتنا السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى قالت : إن هذا الشاعر الذى أصبح يتغنى بترفعه عن أن يحدث زوجته فى شئونه أو أن تحدثه زوجته فى شئونه ، يسد حديث الرجل وزوجته فى الشئون المشتركة بينهما ضرباً من «البهفوفية»؛ إن هذا الشاعر وأمثاله هم الذين مكنوا لقاسم أمين من السعى فى تحرير المرأة الشرقية. ولو أن الشعراء فى القرن التاسع عشر قد قبلوا أن يكونوا بهافيف فركبوا المركب الذى تختاره لهم أزواجهم لما استطاع قاسم وأعوان قاسم أن يلحنوا هذا الشعر تلحيناً يبدو للجاهل أنه أخرجه عن معناه ، ويبدو للمتأمل أنه سد ثغره وأكمل نقصه وأنه لم يناقضه ، ولا حاد به عن طبيعته، فطبيعة هذا التغنى بالترفع عن الزوجة هى بعينها مقدمة التحرير. ولقد أطرب اللحن وأشجى وكان من أثره ظهور نهضتنا الأدبية النسوية ونشر هذه البهفوفيه وأنشدت :

صوت

من أنت ماذا تكون يا رجل ... أظهر ما فى طباعك البهل
فى كل حين تقول يا امرأتى ... يا امرأتى ... ما تريد يا رجل !

الشعر لزوجة أديب كبير من شعراء المصر الحاضر اعتاد أن ينشر كل أسبوع مقالة يقول فيها: «وقلت لزوجتى أنت يا امرأة» فقالت هذه السيدة المحترمة :

. . . . يا امرأتى . . . ... يا امرأتى ... ما تريد يا رجل !

ثم أتمت القصيدة

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال : حدثنا أحمد أمين قال : إن الأدب الجاهلى جنى على الأدب العربى فى هذا الباب أيضاً باب العلاقة الجنسية ، فلولا تقديس أدباء العربية للجاهليين لنزع كل أديب نزعة شخصية صادقة كانت تقيهم على الأقل من سخرية المتنبى منهم فى قوله :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم ... أكل أديب قال شعراً متيم

ولكن الأمر لم يقتصر على استخفاف المتنبى بالأثر الذى تركه الجاهليون بتقديس العرب إياهم فى شعر العرب بعد أن وجب زوال الأثر الجاهلى

قال عروة :

فإن يأخذوا أسماء موقف ساعة ... فأخذ ليلى وهى عذراء أعجب

وكان هذا القول طبيعياً ممن يئدون البنات خشية الإملاق، ولكن تحدث طبيب ليلى المريضة بالعراق عن ظفره بليلى وفضيحته إياها هذه الفضيحة الشنعاء ليست إلا أثراً من آثار الشعر الجاهلى فيه

قال أحمد أمين : وهل تجد فى الشرق رجلاً ممن لم يقرأوا الشعر الجاهلى يستسيغ أن يفضح من يزعم أنه يحبها هذه الفضيحة؟ ألا رحم الله الأبيوردى حيث يقول :

وكم للغوانى من يد قد جحدتها وشكر أيادى الغانيات جحودها

فهذا هو الشعور الطبيعى عند رجل متمدين . أما الذى يقول فيما يقول : إن زوجتى أطال الله عمرها لن تموت بداء غير داء الغيرة ، فلا أستطيع تأدباً أن أصفه بغير التمدين ولكننى أصفه بالتأثر الشديد بالشعر الجاهلى . وهل من حق إنسان أن يتحدث عن الأدب وهو لا يقدر أثر الإيحاء الدائم المستمر فى النفس ؟

لقد تمنع أبناءنا عن الاتصال بالطبقات التى لا ترضى عن أخلاقها خشية كلمة تقال فتترك فى النفس أثرها فكيف بشعر نعجب به ونمجده ونستظهره ثم نعيده ونستعيده سنين، ثم نعلمه بعد أن نتعلمه فإذا نسيناه رسب فى عقلنا الباطن ؛ ألا يترك هذا كله أثراً فى النفس ؟ وإذا لم يكن التكرار المقرون بالإعجاب ليترك أثراً فى النفس فلماذا نؤمن بالأدب ولماذا نكتب ؟ دعنا مما يقوله علماء النفس فى الإيحاء ولننزل إلى مرتبة العامة . ألم نسمع قول العامة : « الدوىّ فى الآذان أشد تأثيراً من السحر »

هؤلاء الجاهليون الذين يندبون البنات تركوا فى القرن التاسع عشر من يقول :

ولست بهفوف يرى رأى عرسه إذا أركبته مركباً فهو راكبه
يظل إذا ما نابه الخطب حائراً يخاطبها فى شأنه ويخاطبه

وحدثنا الأستاذ فريد قال : . . . ولكننى لا أذكر ما قال فقد كان يتحدث عن العقد وهذه عقدة العقد

وحدثنا الدكتور محمد حسين هيكل باشا قال : أما أن لغة الجاهلية لغة سليمة فما لا ريب فيه، لأنها إما أن تكون هى العربية الأصلية إن كان هناك شعر جاهلى ، وإما أن تكون لغة أعلم الناس باللغة الجاهلية إن كان علماء الأدباء فى العصر الأموىّ قد وضعوا ذلك الشعر نماذج كما ينبغى أن تكون عليه اللغة . ولكن كون الفكر الجاهلى يعرب عن الرأى الراجح فهو المحال بعينه . وكيف نستطيع التوفيق بين الإيمان بحياة محمد وبين الإيمان برأى إنما بعث محمد لكى يهدمه ؟ ولقد تلقينا الشعر الجاهلى لغة لها أسلوب يجب أن نرضاه؛ وفيها معان قصارى الرأى فيها أنها وليدة أفكار ومبادئ، وليس بالمقبول ولا المعقول أن تكون هذه المعانى خالية من الفساد وإلا فلماذا نشأ الدين ؟ وما جدوى الحياة الإنسانية إن كانت هذه الآراء وتلك المبادئ لا تزال صالحة بعد خمسة عشر قرناً من الزمان ؟ إنه ينبغى على من يعلم النشء لغة الجاهلية أن يحذرهم من قبول الفكرة الجاهلية فإن التكرار مع الاستحسان يورث العادة، وليس كذلك التكرار مع الاستهجان . وإنى لأعجب من معلم للغة العربية يعلم تلاميذه قول الشاعر الجاهلى

نسوق النساء عوذها وعشارها

ثم لا يقول لهم إن لغة هذا الشاعر سليمة ولكنه من حيث الأخلاق لا يمتاز شيئاً عن البهائم . وإنى لأعجب من معلم للغة العربية لا يقول لتلاميذه إن امرأ القيس وإن كان عبقرية معجزة فى فنه فإنه كان فى آرائه وشعوره نحو النساء كأى حمار فى الطريق؛ وإن غزله لا يختلف شيئاً عن النهيق وإن لنا منه اللغة . أما الشعور الإنسانى الصحيح ففى قول الشاعر

وكم للغوانى من يد قد جحدتها وشكر أيادى الغانيات جحودها

وقد قال الدكتور طه حسين إن إنكارنا للأدب الجاهلى لا يتنافى مع صحة الرأى الذى تحدث به هيكل باشا ، فإن الذين لفقوا الشعر الجاهلى إنما لاحظوا طبائع الجاهلية وسجاياها

وحدثنا الدكتور زكى مبارك قال: إن أبا الفرج الاسكندرانى رجل منافق فى علاقته النسوية ومثله فى ذلك كثل الأبيوردى سواء بسواء . وأنا لا أقول كما يقول الأبيوردى

وكم للغوانى من يد قد جحدتها وشكر أيادى الغانيات جحودها

ولكننى أقول إن صبايا سنتريس سيقتل بعضهن بعضاً غيرة على وأقول كما يقول أبو نواس الذى لم يكن بالجاهلى :

ولا تسقنى سراً إذا أمكن الجهر

وأقول كما يقول كشاجم وليس بالجاهلى :

خوفونى من فضيحته ليتـــه يدنو ونفتضح

صوت

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

الشعر لأبى نواس واللحن للدكتور زكى مبارك

(ينبع) عبد اللطيف النشار